

دلائل الإعجاز

والاستعارةُ عندكم مقصورةٌ على مجرّد اللفظ ولا تَرون المستعيرَ يَصْنَعُ بالمعنى شيئاً وترون أنَّهُ لا يحدثُ فيه مزيّسةٌ على وجّهٍ من الوجوه . وإذا كان كذلك فمن أين - ليتَ شعري - يكونُ أحقُّ به فاعرفه . ثم إنَّ أردتَ مثلاً في ذلك فإنَّ من أحسنِ شيءٍ فيه ما صنعَ أبو تمام في بيتِ أبي نُخَيْلَةَ . وذلك أن أبا نُخَيْلَةَ قال في مَسْلَمَةَ بن عبد الملك - الطويل - :

(أَمَسَّ لَمُ إِنْ يَ بْنَ كُلِّ خَلِيفَةٍ ... وَيَا جَبَلِ الدُّنْيَا وَيَا وَاحِدَ الْأَرْضِ) .
(شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ مِنَ التَّقَى ... وَمَا كُلُّ مَنْ أَوْلَيْتَهُ صَالِحاً يَقْضِي) (وَأَنْزَبَهُتَ لِي ذِكْرِي وَمَا كَانَ خَامِلاً ... وَلَكِنْ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ) .

فعَمد أبو تمام إلى هذا البيتِ الأخيرِ فقال - الطويل - :
(لَقَدْ زِدْتُ أَوْصَاحِي امْتِدَاداً وَلَمْ أَكُنْ ... بِهَيْمَاءٍ وَلَا أَرْوَضِي مِنَ الْأَرْضِ مَجْهَلاً) .

(وَلَكِنْ أَيْادٍ صَادَفَتْنِي جِسَامُهَا ... أَغَرَّ فَأَوْفَتَ بِي أَغَرٌّ مُحَجَّلاً) .
وفي كتاب " الشعراء والشُّعراء " للمَرزُبانِي فصلٌ في هذا المعنى حسنٌ قال : ومن الأمثال القديمة قولهم : " حَرّاً أَخَافُ عَلَى جَانِي كَمْوَأَةٍ لَا قُرّاً " يَضْرِبُ مَثَلاً للذي يَخَافُ من